الدرس الثالث عشر/ شعر الشباب:

لقد عرفت الساحة الأدبية الجزائرية والشعرية على وجه الخصوص بعد الاستقلال فراغًا وصمتًا، حيث انشغل الأدباء كغيرهم في المساهمة في الحياة العامة في شتى المجالات.. فكان من الطبيعي أن يعتزل كثير من الأدباء، وينصرف بعضهم إلى ميادين أخرى، مثلما فعل(أبو القاسم سعدالله) حين انصرف إلى التدريس بالجامعة، و(محمد الصالح باويه) انصرف إلى الطب، و(أبو القاسم خمار) إلى الإدارة.. واستمر الوضع على حاله إلى غاية بداية السبعينيات من القرن العشرين، حيث جدت مستجدات حياتية فرضت على**(جيل الشعراء الشباب)** أن يخرج عن صمته وينخرط في حركية المستجدات الاجتماعية والسياسية والثقافية.. حتى العالمية. أما الوطنية فتمثلت في التوجه الاشتراكي كخيار وطني وما أفرزه من ثورة: صناعية ـ زراعية ـ ثقافية.. أما القومية فتمثلت في النكسة العربية عام(1967) **انهزام العرب أمام إسرائيل** والتي تطلبت مراجعة للذات والموقف.. وأما العالمية فتمثلت في قضايا إنسانية عدة، وفي مقدمتها الحركات التحررية عبر العالم.

❖ أثر جيل الشباب في الحركة الشعرية الجزائرية:

حاول هذا الجيل أن يوجد لنفسه طريقة في التعبير الشعري تنسجم مع الواقع الجديد وتحولاته، ولذلك فإن مستقرئ الحركة الشعرية في ذلك الوقت يلاحظ(**أن القصيدة الجزائرية التي كتبت بشكل حديث كانت أكثر وعيًا والتحامًا بحركة التحولات الاجتماعية، الأمر الذي جعلها أكثر تطورا أيضا من الناحية الجمالية والفنية..**)، ومن ثم سعى (جيل الشباب) إلى استحداث أدوات فنية تعبيرية خاصة ونحَا منحى التجريب على صعيد مستويات بنيوية ولغوية عدة. وعموما فقد صدر الشعراء الشباب عن وعي واستيعاب لحركة الواقع التاريخي والاجتماعي والسياسي والحضاري والثقافي.. فحاولوا تقصي نبض حركة المجتمع، وفضح الزيف الذي اعتراه، وتصوير الصراع الدرامي للمواقف المتأزمة فيه، تارة بلغة شفافة، وتارة ـ وهو الغالب ـ بلغة منزاحة متوترة ذات غموض فني مولد لفيوضات المعنى، كما حظي**(الرمز)** الأسطوري والتاريخي، والتراثي، والديني..) بعناية فائقة من طرف الشعراء الجزائريين المعاصرين(الشباب).

1/ لقد عبر شعراء السبعينيات من القرن العشرين(الشباب) عن التزامهم بقضايا التحول الاجتماعي نحو الاشتراكية وعبروا عن موقفهم إزاء مظاهر التخلف والحرمان والجوع والظلم.. ولم يكن تصورهم للواقع مرآويًا استهلاكيًا، بل كان تصويرا تأمليًا نقديًا، حاملاً لمعاني الرفض والتمرد والعزلة والتيه والفقد

والغربة...، وهي معان تتناغم وتنسجم مع مفارقات الواقع وصراعاته، ليتجلى كل ذلك عبر لغة مكثفة رامزة، موحية وهامسة، من شأنها تحمل تلك المعاني وتلك المفارقات.. وخاصة وأن الشعر الجديد المعاصر(الحداثي) صار شعر كشف ورؤيا.

يقول الشاعر **أحمد حمدي** في ديوانه: **(** قائمة المغضوب عليهم**)**:

يكبر شكل الحلم في عيون فقراء وطني

تحترق المراحل ـ الحواجز

(الحلاج) يغزو حلقات الذكر

تنطلق الثورة من رصيف الشارع الأيسر

يجادلون الموتى

في شرعية النظام

في ايديولوجيات المعارضين

يخرج (يونس) السجين من بطون الحوت

فجأة ينتحر السكوت..

وعلى هذا الأساس عمد الشعراء الشباب الجزائري المعاصر على غرار الشعراء العرب إلى تجديد أدواته الفنية والتعبيرية من منطلق تجريبي وأفق حداثي، فكان من بين ما تظاهروا به على ذلك: توظيف الرمز، والأسطورة، والتراث، والغموض الفني، ولغة الكشف الصوفي.. قصد إقحام القارئ في المغامرة الجمالية وتفكيك شفرات النص وعملية إنتاج الدلالة.

2/ واللافت للنظر أن أغلب شعراء هذا الجيل، عمدوا في أشعارهم إلى مخاطبة **(** **المـرأة** **)** بما هي رمز للحب والعشق من جهة، وبما هي وسيلة للبوح من جهة أخرى، وقد ترمز المرأة : للوطن أو الثورة أو الحرية أو العدالة أو الذات أو القضية التي يدافع عنها الشاعر. كما عمد كثير من الشعراء إلى لغة **(الخطاب الصوفي)**، كالحب الإلهي، والمرأة والخمرة، والاتحاد.. وما تحمله من معاني الكشف والعرفان والبوح والعشق.. حيث تنهض لغة الخطاب الصوفي بأداء الوظيفة الرامزة وتوصيلها وفق شفرات دالة

تحتمل التأويل والاحتمال، ولذلك سلكت الصوفية مسلك الرمز لما يحمله من طاقات الغموض، والإبهام والإيحاء بوصفها مؤشرات على الباطن الخفي والداخل المستتر .. .

فقد وظف الشاعر **عثمان لوصيف**(المرأة) بوصفها رمزا موحيا بالحب الإلهي أو الروحي، يقول:

وجهها فاكهة..

والصدر نافورة نرجس

وبعينيها بحار تتغاوى

لم أكن أعرفها

صلينا لرب لا نراه

واغتسلنا بالدموع

هكذا اتخذ من المرأة ذلك الرمز الدال على الحياة بكل ما تحمله من معان وما تختزنه من أسرار، إنها الروح حين تمتلئ إيمانًا وطهارة، فتكون السبب الرابط بالمقام الرباني عن طريق التطهر والصلاة.

3/ ومن الوسائل التي اتخذها الشعراء الشباب أداة فنية للتعبير، وتميزوا بها عن الجيل السابق توظيفهم **(للأسطورة)** وقد تعامل هؤلاء الشعراء معها بمنطق الوظيفة الرمزية، حيث تختزن الشخصيات الأسطورية طاقة رمزية وكثافة إحائية ذات غناء تساهم في التعبير عن الصراع القائم بين وجود الشاعر وعالمه الداخلي ضمن حركة فعل درامي يومئ بحالات الانبعاث التي يسعى الشاعر لتحقيقها في صورة شخصياته الأسطورية. وقد يتقمص الشاعر شخصية أسطورية عن طريق**(القناع)** فيعبر عن ذاته بلسان تلك الشخصية الأسطورية.ولعل(أسطورة السندباد) رمز الاكتشاف والبحث عن عوالم الامتلاء والخصوبة وركوب الأهوال والبحث عن الجديد.. قد ألهمت الشعراء الشباب، بوصفها المعادل الموضوعي لإشراقات رؤيوية، رؤية البحث المنتظر لواقع هش، متصارع... .

يقول **عبد العالي رزاقي** في قصيدته(عودة السندباد) رامزًا للانبعاث والتجدد والأمل:

ويحبك الفقراء مثل الأغنياء

ومثلما الأمواج في أعماق البحر

يصبح الفقراء ضد الأغنياء

من منكم يعشق الياقوت والمرجان..

هذا السندباد يعود بحمله من الجزر البعيدة للنساء

ياأيها المارون نحو الغرب ــ عبر الشرق ـ

الشعب أكبر سندباد العصر

ومن الرموز الأسطورية التي وظفها الشعراء الشباب بكثرة أسطورة(**سيزيف**) بما هو رمز للشقاء والمعاناة الأبدية حيث قضى حياته في رفع الصخرة العظيمة إلى قمة الجبل(حكم الآلهة) غير أنه ما إن يتقدم في ذلك حتى يهوى الصخر إلى الأسفل، فيبقى في المحاولة دون جدوى، وهذا الرمز مناسب لإسقاطه على واقع الشعوب الكادحة المسحوقة وطبقة البؤساء المقهورة، يقول **عبد العالي رزاقي:**

آلاف الأوهام تعشعش في ذاكرتي

حكمت آلهة الزيف..

أن أحمل صخرة (سيزيف)

أن أقبل طوعًا أو كرهًا

تأشيرة منفى.

وقد استغل الشعراء الشباب الجزائري، كل ما من شأنه اختزال التجارب ومطابقة المواقف رمزيًا، وقد تحقق ذلك عبر شخصيات(الأنبياء،والشخصيات التاريخية والتراثية والمتمردين وأصحاب المواقف..) كما نلمس في شعر هؤلاء الشباب انفتاحًا على القضايا الإنسانية وتأييدا للحركات التحررية والأقليات المضطهدة. يقول(**أحمد حمدي**) في قصيدته(قصائد إلى بابلو نيرودا)، إذْ يوظف شخصيات نضالية إنسانية متمردة على الواقع السائد، وتأييد الحركات التحررية والأقليات الضطهدة :

حينما تحلم طفلة

في حوض الأمازون

ومن أشعار النيرودا

تنفجر قنبلة موقوتة

.. حين تدندن في مرتفعات الجولان..

كلاشنكوف

ويرتفع العلم الوطني

على أسوار إيرتيريا

يمتلئ العالم بالثوار

تحبل هذي الثورة..

تضحك أشعار الناظم

يتغنى في مدريد لوركا

ويعزف مایاكوفسكي

ألحان الحرية.

كما رمز الشاعر **عبد العلي رزاقي** من خلال قصة سيدنا **(يوسف)** عليه السلام، مثلا، وتفسيره لحلم السجينين، إلى المصير المؤلم الذي ينتظر كل مناضل عربي في سجون الحكام الطغاة:

...وهذي الخطوط على الكف

محتمل أن تصير على القلب أغنية

باسم يوسف، وهو يفسر حلم سجينين عاشا معا

واحد منهما، سوت يغتاله الموت في الليلة القادمة

و آخر يفرج عنه، في السنة القادمة...

خلاصة/ إن القصيدة الجزائرية في فترة السبعينيات وما بعدها من القرن العشرين، قد حققت قفزة نوعية في التعامل مع الواقع وفي التعامل مع المعطى الثقافي في التراثي العربي والأجنبي، وتتمثل في هضم هذه المعطيات واستيعاب الاتجاهات والمذاهب الفنية الحديثة، وسر حداثة هذه الأنماط البنيوية للتشكيل

اللغوي في الخطاب الشعري المعاصر يعود إلى انزياحها الفني عن الأنماط اللغوية المألوفة التي تتردد في لغة العام والخاص، وتأليفها لتشكيل لغوي جديد يستمد جماليته من أصالة التجربة الشعرية وحداثتها. وبهذا يكون شباب السبعينيات وما بعدها من القرن العشرين، قد أسس طريقًا تجديديًا تجريبيًا، أكسب الشعر الجزائري المعاصر صفة الأصالة والحداثة في آن، وجعله منسجمًا مع روح العصر، مسايرا للتجارب الشعرية العربية المعاصرة غير متأخر عن مسيرتها الأدبية وبالخصوص الشعرية منها.